

جوانب دعوية من سير علماء الدعوة السلفية بنجد

د. عبدالعزيز بن محمد آل عبداللطيف

قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة - كلية أصول الدين - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مع كثرة المؤلفات والرسائل التي كتبت عن الدعوة السلفية وأتمتها في قلب الجزيرة العربية، إلا أن جملة من الجوانب المهمة عن هذه الدعوة المباركة ما تزال بحاجة إلى تحرير وتحقيق، كما أن منها ما يحتاج إلى مجرد جمع وإبراز، ومن ذلك موضوع الجوانب الدعوية في سير علماء الدعوة السلفية، فإن الناظر إلى تراث علماء نجد وتراجمهم يجد مادة علمية مهمة في ذلك، فكم هي المواقف المشرقة والمشاهد الرائعة لأولئك الأعلام!

إن العلماء هم الدعوة، والواجب على العلماء وطلاب العلم أن يعملوا بعلمهم، وأن يدعوا إلى دين الله تعالى، وأن يصبروا على ما أصابهم.

ولقد سار علماء نجد على هذا المسلك، فعملوا بعلمهم، وقاموا بواجب الدعوة إلى الله تعالى، وحققوا البلاغ المبين، ودعوا إلى دين الإسلام ابتغاء وجه الله تعالى، لا يريدون من الناس جزاءً ولا شكوراً، وسلكوا في هذه الدعوة سبيل السنة والاتباع، امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَسَبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨] .

وقد عمدت في هذا البحث إلى جمع واستخراج جملة من تلك المواقف والمشاهد، مع شيء من التعليق اليسير في بعض المواطن، وذلك على النحو الآتي:

فقه الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - فقيهاً بالدعوة وأساليبها، وكان كثيراً ما يقرر في رسائله الشخصية أنه يدعو إلى الله تعالى وحده لا شريك له^(١)، يقول عن قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨]: "التبنيه على الإخلاص؛ لأن كثيراً من الناس لو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه"^(٢).

ويظهر فقه الشيخ محمد بن عبد الوهاب لنفوس المخاطبين والمدعويين، ويدرك ما قد يعتري النفس البشرية أحياناً من استعلاء واستكبار عن قبول حق جاء من شخص لا تميل إليه تلك النفس، فيخاطب تلك النفوس ويوجهها إلى التضرع إلى الله وسؤاله الهداية فيما اختلف فيه من الحق، ومرة يخاطبها بالرجوع إلى كتب أهل العلم دون الرجوع إليه، ومرة ثالثة يرشدها إلى تدبر آيات القرآن الكريم^(٣).

وقد وفق الله الشيخ محمد بن عبد الوهاب لاستعمال الحكمة في دعوته، فنجده مراعيًا أحوال الناس ومنازلهم، ومدى قربهم من الحق أو بعدهم، ومن ثم يتنوع أسلوبه في الدعوة حسب حال المدعو ومكانته^(٤).

وقد كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - يياشر الدعوة بنفسه، وعبر رسائله العدة، وعن طريق تلاميذه وأتباعه، ومن خلال اللقاءات والدروس والتعليم. ومن المشاهد العملية في دعوة

(١) انظر مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، تصنيف: د. عبدالعزيز الرومي وآخرون، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٠هـ، ٥ / ٢٥٢.

(٢) كتاب التوحيد، باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله.

(٣) انظر الدرر السنية، جمع عبدالرحمن بن قاسم، ط ١، ١٢٨٨هـ، دار الإفتاء، الرياض ١ / ٣٦، ٥٢ - ٥٣، ٥٩.

(٤) انظر مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ٥ / ١٣٤، ١٤١، ٢٣٣، ٣٠٠، ٣١٥.

الشيخ محمد بن عبد الوهاب ما حكاه تلميذه الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب^(٥)، قائلاً: "وكان شيخنا محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في ابتداء دعوته إذا سمعهم يدعون زيد بن الخطاب رضي الله عنه قال: الله خير من زيد، تمريناً لهم على نفي الشرك بلين الكلام، نظراً إلى المصلحة وعدم النفرة"^(٦).

رسالة الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ لعبدالرحمن الألويسي؛

كتب الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ^(٧) رسالة إلى الشيخ عبدالرحمن الألويسي^(٨) يحثه فيها على الدعوة إلى دين الله تعالى، وأن يكون له جماعة يقومون مقامه. فكان مما قاله الشيخ عبداللطيف رحمه الله "وكتابتك الكريم وصل إلينا، وحسن موقعه لدينا، لما بلغنا عنك من إظهار الإسلام والسنة، وعيب أهل الشرك والبدعة، وطعنك على الدعاة إلى الضلال، وعييبهم بما يبدو من سوء العمل وشنيع المقال، وإن الله قمعهم بك، وقواك عليهم فأذلهم وأهانهم، فأبشر بثواب ذلك، واعتد به من أفضل أعمالك وحسناتك.

(٥) ولد عام ١١٩٣هـ في الدرعية، ودرس على جده الشيخ الإمام، وتولى التدريس والقضاء، ونقل إلى مصر، فقرأ على علمائها، ثم عاد إلى نجد، وجلس للتدريس، له تلاميذ ومؤلفات، توفي في الرياض ١٢٨٥هـ. مشاهير علماء نجد، لعبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، ط ٢، دار اليمامة للبحث، الرياض، ١٣٩٤هـ، ص ٧٨. وعلماء نجد خلال ستة قرون، لعبدالله البسام، ط ١، مكتبة النهضة الحديثة، مكة، ١٣٩٨هـ، ١/ ٥٦.

(٦) مجموعة التوحيد النجدية، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٧٥هـ، ص ٣٣٩.

(٧) ولد الشيخ عبداللطيف في الدرعية عام ١٢٢٥هـ، تلقى العلم في الدرعية ومصر، وهو أحد الأعلام المحققين، له مؤلفات ورسائل عدة، كما كان يقرظ الشعر، توفي في الرياض سنة ١٢٩٣هـ. مشاهير علماء نجد، ص ٩٣. وعلماء نجد، ١/ ٦٣.

(٨) لعله الشيخ عبدالرحمن الألويسي شقيق أبي الثناء السيد محمود شهاب الدين صاحب "روح المعاني"، وكان الشيخ عبدالرحمن قد اشتغل بالوعظ والتدريس في بغداد، وهو ذو خلق حسن، وكلمة مسموعة، توفي سنة ١٢٨٤هـ. المسك الأذفر في نشر مزايا القرن الثاني عشر والثالث عشر، لمحمود شكري الألويسي، ت: عبدالله الجبوري، دار العلوم، الرياض، ١٤٠٢هـ، ص ٨٥-٩١. وأعلام العراق، لمحمد بهجة الأثري، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤٥هـ، ص ١٢-١٤.

واحرص أن يكون لك في ذلك جماعة وتلامذة يقومون مقامك إن حدث بك حدث، فيكونوا أئمة بعدك، ويجري لك مثل أجورهم إلى يوم القيامة كما صح به الخبر، فاعمل على بصيرة، وسر إلى الله بصلاح القصد والسريرة...^(٩).

رسالة دعوية للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ:

بعث الشيخ عبد اللطيف أيضاً رسالة إلى الشيخ حمد بن عبدالعزيز^(١٠) يذكره بفضل الدعوة إلى الله تعالى، ويؤكد عليه القيام بأعبائها: "من عبد اللطيف بن عبد الرحمن إلى الأخ المحب حمد بن عبدالعزيز سلمه الله تعالى وتولاه. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وموجب الخط إبلاغ السلام والتحية، والسؤال عن أخلاقك المحمية، سلك الله بها منهج الطريقة المحمدية، ولا يخفك حال أهل الزمان، وغربة الإسلام، وندرة الإيمان بينهم، وقد ابتلوا بما رأيت من الفتن والمحن، والتقاطع والتدابير والبغضاء، وصاروا أشتاتاً بعد أن كانوا مجتمعين، وشيعاً بعد ما كانوا عليه من الإسلام متعصبين، ونسي العلم والتوحيد وأقضرت الديار من الناصح الرشيد، وهدم الإسلام، وخلت الديار من ذوي العلم والأفهام، ولا شيء أقرب إلى الله وسيلة، وأرجى من الخيرات فضيلة من الدعوة إلى سبيله وإرشاد عبیده ودرهم إلى الله، وتعلم دينه وتوحيده.

وقد أهلك الله - وله الحمد والمنة - لذلك، ووضع لك القبول فيما هنالك، وقد أجمع أهل الرأي والمشورة على إلزامك بالدعوة إلى الله والتذكير بدينه وتبنيه عبده على أصل دينهم، وما يجب فيه، وعلى ما يضاذه وينافيه من المكفرات والشركيات، وتعطيل الشرائع

(٩) الدرر السننية، ١١ / ٧٦.

(١٠) لعله الشيخ حمد بن عبدالعزيز العوسجي، ولد في ثادق بنجد عام ١٢٤٥هـ، وتلمذ على يد كبار علماء نجد، ومنهم الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن، جلس للتدريس، وتولى القضاء، توفي في عام ١٢٣٠هـ. علماء نجد، ١ / ٢٢٧. والدرر السننية، ١٢ / ٨٢.

والنبوات، فاغتنم أخي ذلك المشهد، وسارع إليه فإن الجزاء خطير والثواب كبير وشهير.

وهذا خط الإمام عبدالرحمن^(١١)، واصلك فلا تجاوب بلا ولن، فإنها داعية الهم والحزن، ولولا أنني أخشى على النفس من كثير من أهل نجد لتجشمت القيام بذلك^(١٢)، ولوجدتني حول المياه وبين المسالك، وإلى الله المشتكى من عدم المعين والنصير، وغلبة الجهال، نسأل الله العون على مرضاته وذكره وشكره، وأن يجعلنا من الدعاة إلى سبيله... قال بعضهم في تفسير قوله تعالى عن المسيح عليه السلام: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ [مريم: ٣١]، أي: مذكراً بالله داعياً إلى سبيله والسلام^(١٣).

رسالة الشيخ ابن عتيق لصديق حسن خان:

حرر الشيخ حمد بن عتيق^(١٤) - رحمه الله - رسالة طويلة، وبعثها إلى السيد محمد صديق حسن خان رحمه الله^(١٥). ونظراً لطول الرسالة فسنتقصر على مقدمتها وخاتمتها، ففي المقدمة:

"من حمد بن عتيق إلى الإمام المعظم والشريف المقدم المسمى محمد الملقب صديق، زاده الله من التحقيق، وأجاره في مآله من

(١١) يعني الإمام عبدالرحمن بن فيصل بن تركي آل سعود.

(١٢) يبدو أن هذه الرسالة كانت في أواخر حياة الشيخ عبداللطيف، فالشيخ قد توفي سنة ١٢٩٣هـ، بينما تولى الإمام عبدالرحمن الحكم سنة ١٢٩١هـ، وكانت نجد تعيش - في تلك الحقبة - خلافاً بين أبناء فيصل بن تركي، وكان للشيخ عبداللطيف دور ظاهر في الإصلاح ودرء الفتنة وحفظ الدماء.

(١٣) الدرر السنية، ١١ / ٨٤-٨٥.

(١٤) ولد الشيخ حمد بن علي بن عتيق في الزلفي سنة ١٢٢٧هـ، ودرس في الرياض، وتولى القضاء والتدريس، له مؤلفات وتلاميذ، توفي في الأفلاج سنة ١٣٠٦هـ. مشاهير علماء نجد، ص ٢٤٤. وعلماء نجد، ١/ ٢٢٨.

(١٥) هو السيد محمد صديق بن حسن الحسيني البهوبالي، ولد سنة ١٢٤٨هـ. في بلدة بريلي بالهند، وتعلم على كبار علماء الهند، وتزوج ملكة بهوبال، له جهود إصلاحية، ومؤلفات كثيرة، توفي في بهوبال سنة ١٣٠٧هـ. انظر ترجمته لنفسه في آخر كتابه "التاج المكلل" لمحمد صديق حسن خان، ت: عبدالكريم شرف الدين، ط٢، دار اقرأ. ومشاهير علماء نجد، ص ٤٥١.

عذاب الحريق. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: فالموجب للكتاب إبلاغ السلام والتحفي والإكرام، قيّد الله بك قواعد الإسلام، ونشر بك السنن والأحكام. اعلم وفقك الله، أنه كان يبلغني أخبار سارة بظهور أخ صادق ذي فهم وطريقة مستقيمة يقال له: صديق؛ فنفرح بذلك ونسر لغربة الزمان وقلة الإخوان، وكثرة أهل البدع والأغلال، ثم وصل إلينا كتاب الحطة وتحريير الأحاديث^(١٦) في تلك الفصول، فازددنا فرحاً وحمدنا لربنا العظيم لكون ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس. وكان لي ابن^(١٧) يتشبت بالعلم، ويحب الطلب، فجعل يتوق إلى اللحوق بكم والتخرج عليكم والالتقاط من جواهركم. فبينما نحن كذلك إذ وصل إلينا التفسير بكماله^(١٨)، فرأينا أمراً عجيباً ما كنا نظن أن الزمان سمح بمثله وما قرب منه، لما في التفاسير التي تصل إلينا من التحريف والخروج عن طريق الاستقامة، وحمل كلام الله على غير مراد الله، وركوب التفاسير في حمله على المذاهب الباطلة، وجعلت السنة كذلك. فلما نظرنا في ذلك التفسير تبين لنا حسن قصد منشييه وسلامة عقيدته وتبعده عن تعمد مذهب غير ما عليه السلف الكرام، فعلمنا أن ذلك من قبيل قوله: ﴿وَعَلَّمَآهُ مِمَّن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥] فالحمد لله رب العالمين، حمداً كثيراً طيباً كما يحب ربنا ويرضى، وذلك من فضل الله يؤتيه من شاء، والله ذو الفضل العظيم.

فزاد اشتياق التائق وتضاعفت رغبته. ولكن العوائق كثيرة والمثبطات مضاعفة، والله على كل شيء قدير، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن وإن شاءه الناس، فمن العوائق تباعد الديار وطول المسافات؛ فإن مقرنا في فلج اليمامة. ومنها خطر الطريق وتسلط

(١٦) من مؤلفات الشيخ محمد صديق حسن خان.

(١٧) هو الشيخ سعد بن حمد بن عتيق، وقد سافر إلى الهند، وقرأ على مجموعة من العلماء ومنهم الشيخ/ محمد صديق. انظر: علماء نجد، ١/ ٢٦٦.

(١٨) وهو كتاب فتح البيان في مقاصد القرآن.

الحرامية في نهب الأموال واستباحة الدماء وإخافة السبيل، ومنها ما في الطريق من أهل البدع والضلال بل وأهل الشرك...، ربنا آتينا من لدنك رحمة، وهيئ لنا من أمرنا رشداً، ومع ذلك فنحن نرجو من الله أن يبعث لهذا الدين من ينصره، وأن يجعلنا من أهله، وأن يسهل الطريق، ويرفع الموانع، ونسأله أن يمن بذلك فهو القادر عليه" (١٩).

وجاء في خاتمة الرسالة ما يأتي:

"وقد اجترأت عليك بمثل هذا الكلام نصحاً لله ورسوله رجاءً من الله أن ينفع بك في هذا الزمان الذي ذهب فيه العلم النافع، ولم يبق إلا رسومه، وأنا أنتظر منك الجواب ورد ما صدر مني من الخطاب. ثم إنني لما رأيت الترجمة، وقد سمي فيها بعض مصنفاتك وكنت في بلاد (٢٠) قليلة فيها الكتب، وقد ابتليت بالدخول في أمور الناس لأجل ضرورتهم كما قيل: خلا لك الجو فيضي واصفري، وألتمس من جنابك تفضل علينا ببلوغ السؤل من أفضية الرسول، والروضة الندية شرح الدرر البهية، ونيل المرام شرح آيات الأحكام، فنحن في ضرورة عظيمة إلى هذه كلها فاجعل من صالح أعمالك معونة إخوانك ومحبيك، وابعث بها إلينا مأجوراً - إن شاء الله تعالى - وليكن ذلك على يد الأخ أحمد بن عيسى (٢١) الساكن في مكة المكرمة المشرفة، واكتب لنا تعريفاً بأحوالكم، ولعل أحداً منكم يتلقى هذا العلم ويحفظه عنك، واحرص على ذلك طمعاً أن يجمع لك شرف الدنيا والآخرة، ونسأل الله أن يهب لك ذلك.

ثم اعلم أنني قد بلغت السبعين وأنا في معترك الأعمار، لا آمن هجوم المنية ولي أولاد ثمانية، منهم ثلاثة يطلبون العلم، كبيرهم سعد

(١٩) مجموعة كتب ورسائل الشيخ حمد بن عتيق، ت: إسماعيل بن عتيق، دار القرآن الكريم، بيروت، ١٤٠٠هـ، ص ٤١ - ٤٢.

(٢٠) هي بلدة العمار من بلدان الأفلاج بنجد.

(٢١) هو الشيخ العلامة أحمد بن إبراهيم بن عيسى. وانظر ترجمته في الحاشية رقم (٢٤).

المذكور أولاً، ويأتيه عبدالعزيز وتحتة عبد اللطيف^(٢٢)، ونرجو أنهم أهل للكتب وممن يعتز بها ويحفظها وبقيتهم صغار، منهم من هو في المكتب، ومن دعائنا ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتًا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٤] ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٨] لا تتسانا من صالح دعائك كما هو لك مبذول. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وصلى الله على محمد وآله وصحبه^(٢٣).

وقفات مع رسالة الشيخ ابن عتيق لصديق حسن خان:

تضمنت هذه الرسالة القيمة جملة من الوقفات، فمن ذلك: - ما كان عليه علماء نجد من التواصل بالعلماء الآخرين^(٢٤)، وتوثيق العلاقات العلمية بهم، وإن كانوا من خارج مناطقهم، كما سبق في رسالة الشيخ عبد اللطيف للألوسي العراقي، وكما في هذه الرسالة التي كتبها الشيخ حمد بن عتيق لمحمد صديق حسن، ورسالة العلامة السعدي إلى الشيخ محمد رشيد رضا^(٢٥) كما ستأتي إن شاء الله.

(٢٢) صار كل هؤلاء الثلاثة - فيما بعد - من علماء نجد.

(٢٣) مجموعة كتب ورسائل الشيخ حمد بن عتيق، ص ٥٢ - ٥٣.

(٢٤) كان التواصل فيما بين علماء نجد وغيرهم قائماً ووثيقاً سواء كان عن طريق الرحلات أو اللقاءات والاجتماعات أو المراسلات، والناظر إلى الدرر السنوية أو مجموعة الرسائل والمسائل النجدية يرى هذه المراسلات المتكررة فيما بينهم، وما تحويه هذه الرسائل من تناصح وتذكير، ومحبة ومودة، وتدارس لمسائل في العلم، كما تحكي هذه الرسائل جزءاً من تاريخ تلك السنين. ومن الأمثلة على هذا التواصل ما كتبه الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن لتلميذه زيد بن محمد السلیمان قائلاً: "ومن مدة ما جئنا منك مراسلة وعادة الإخوان يتفقده بعضهم بعضاً لا سيما أوقات الفتن التي تموج، وعند الحوادث التي على الأكثر تروج". الدرر السنوية، ٧ / ١٩٥.

(٢٥) ومن الطريف أن هذا التواصل وتلك المراسلات بين أولئك العلماء دون سابقة لقاء أو مشاهدة، ولذا يقول محمد صديق حسن في وصف الشيخ راشد بن جريس: "عالم ناقد متبع ماجد، مقتد بالسلف الصالح في كل أمر، لم أره ولم يرني، ولم أعرفه ولم يعرفني، بيد أنه راسلني منذ شهر صفر سنة ١٢٩٨هـ". التاج المكلل، ص ٥١٧. وفي مطلع رسالة كتبها محمد رشيد رضا إلى الشيخ صالح بن عثمان القاضي ما يأتي: "من محمد رشيد رضا إلى الأخ الذي أحببناه في الله تعالى بالغب الشيخ صالح القاضي...". رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لمحمد السلیمان، مطبوعات النادي الأدبي، ص ٢٩٤.

وكم يحتاج العلماء وطلابهم إلى مثل هذا التواصل والتعاون مع العلماء وطلاب العلم - من أهل السنة - في سائر الأقطار والبلدان. وإن في إقامة هذه الصلوات خيراً كثيراً، فمن ذلك إزالة الفجوات أو تخفيفها بين علماء أهل السنة، مما ينتج عنه اجتماع واتفق يفرح له أهل الإيمان، ويغيظ أهل الزيغ والطغيان، كما يورث هذا التواصل سعة في الأفق وبعداً في النظر وتحرراً من ضيق النزعات العرقية والمحلية.

- يحظى السيد محمد صديق حسن بمنزلة عظيمة عند علماء نجد، كما هو ظاهر في هذه الرسالة، حيث تضمنت أنواعاً من عبارات التبجيل والإكرام والتقدير، ولعظم مكانته، وسعة اطلاعه، وسلامة منهجه، نجد أن الشيخ ابن عتيق يقترح عليه شرح نونية ابن القيم، كما جاء في ثايات الرسالة.

وفي رسائل عدة بين الشيخ راشد بن علي بن جريس^(٢٦) - رحمه الله - والسيد محمد صديق حسن خان، نلمس في تلك الرسائل^(٢٧) أيضاً غاية الاحترام والاحتراف والتبجيل بالسيد محمد صديق ومؤلفاته، كما أن الشيخ راشد - وهو في إسطنبول - قد طلب من محمد صديق حسن أن يشرح نونية ابن القيم قائلاً: "وإن أحببتكم أن تفرضوا فرصة من وقتكم السعيد، ولو زاحمتكم أشغال الليالي والأيام إلى شرح "نونية ابن القيم"، فالداعي لكم يرى هذا من حسناتكم، وامتنانكم على كافة "أهل السنة والجماعة"؛ فاغتموا دعواتهم الخيرية ما دام في الأرض من يحب السنة والجماعة"^(٢٨).

(٢٦) ولد في بلدة نعام بالحريق، وتتلذذ على علماء نجد، وأقام في إسطنبول، وهو من الدعوة العاملين، له مؤلفات ونظم رائع، توفي في مطلع القرن الرابع عشر الهجري. انظر: المكلل، لمحمد صديق حسن، ص ٥١٨. وعلماء نجد، ٢٥٧/١.

(٢٧) أورد الشيخ محمد صديق حسن في التاج المكلل ست رسائل كتبها له الشيخ ابن جريس، انظر التاج المكلل، ص ٥١٨-٥٣٥.

(٢٨) التاج المكلل، ص ٥١٩ - ٥٢٠.

كما كان بين الشيخ أحمد بن عيسى والسيد محمد صديق حسن مراسلات ومكاتبات، وأرسل إليه محمد صديق تفسيره "فتح البيان"؛ ليطالعه ويبيدي ما عنده من ملحوظاته عليه^(٢٩).

ويتضح بذلك ما كان عليه الشيخ حمد بن عتيق من الأدب الجم والخلق الرفيع ولين الجانب وحسن التواضع تجاه السيد محمد صديق، فمع ما وقع فيه الشيخ محمد صديق من أخطاء وهنات في تفسيره، ومع ما اشتهر عن ابن عتيق من الغيرة الإيمانية والقوة في دين الله تعالى، إلا أننا نجد أن الشيخ ابن عتيق يلتمس لمحمد صديق المعاذير، ويحسن الظن به، لما كان عليه السيد محمد صديق من عموم الاتباع لمذهب السلف الصالح.

فأنت ترى في هذه الرسالة ما كان عليه الشيخ حمد بن عتيق من تمام الإشفاق وعظيم الرحمة وكمال العدل والإنصاف تجاه السيد محمد صديق، ومع هذا كله فإن الشيخ ابن عتيق بين الصواب بالدليل والبرهان، ورد كلام أهل التعطيل والتفويض، وهكذا يكون الرد على المخالف، فإن لم يقصد بالرد بيان الحق وهدي الخلق ورحمتهم والإشفاق عليهم لم يكن عملاً صالحاً^(٣٠).

وتتجلى في هذه الرسالة حكمة الشيخ ابن عتيق في الدعوة، ومراعاة أحوال النفس البشرية، كما يلحظ - في ثنايا هذه الرسالة - ما قام بالشيخ ابن عتيق من سلامة القصد وصحة المنهج في دعوته إلى الله تعالى.

ففي مطلع الرسالة ثناء حسن على السيد محمد صديق ومؤلفاته، وإظهار الاشتياق إلى اللقيا به، ثم انتقل إلى ملحوظاته على الكتب،

(٢٩) انظر تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام الله الواحد الديان، لإبراهيم بن عبيد، ط١، مؤسسة النور، الرياض، ٢/٣٠٤.

(٣٠) انظر منهاج السنة النبوية لابن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٦هـ، ٥/٢٣٩.

وابتدأها بالتماس العذر لمحمد صديق لعدم حصول إمعان النظر في الكتاب، "ولعل الأصحاب عاجلوك بتلقيه قبل ذلك"، أو إحسان الظن ببعض المتكلمين، ومع ذلك يذكر الشيخ حمد أن تلك المآخذ والمداخل إنما هي عن حسن قصد من محمد صديق، واعتماد الحق وتحري الصدق.

ثم يبدي الشيخ حمد الاعتذار عن تلك البادرة، فيقول تلك العبارة الجميلة: "وأنا اجترأت عليك، وإن كان مثلي لا ينبغي له ذلك؛ لأنه غلب على ظني إصفاؤك إلى التبيه، ولأن من أخلاق أئمة الدين قبول التبيه والمذاكرة وعدم التكبر وإن كان القائل غير أهل..."، ثم يعود الشيخ حمد فيلتمس عذراً آخر للشيخ محمد صديق - في إيراد أقوال المتكلمين في تفسيره - فيقول: "وقد يكون لكم من القصد نظير ما بلغني عن الشوكاني - رحمه الله - لما قيل له: لأي شيء تذكر كلام الزيدية في هذا الشرح؟ قال ما معناه: لآمن الإعراض عن الكتاب، ورجوت أن ذكر ذلك أدعى إلى قبوله وتلقيه".

وبعد براعة الاستهلال، ولين الخطاب، وحسن الحفاوة والإجلال، والتماس المعاذير، شرع الشيخ حمد في إيراد تلك المآخذ ونقدها، وبين الواجب تجاه الألفاظ المجملة، ورد على شبهة الأشاعرة بعلم وبرهان وعدل وإنصاف.

دعوة الشيخ البسام للشيخ باصبرين؛

قام الشيخ صالح بن عبدالله البسام^(٣١) بدعوة شيخه علي باصبرين^(٣٢) إلى العقيدة السلفية - التي جدها الشيخ محمد بن عبدالوهاب - حتى هداه الله تعالى^(٣٣).

(٣١) ولد الشيخ صالح البسام في عنيزة سنة ١٢٧٠هـ، وطلب العلم، واشتغل بالتجارة، توفي سنة ١٣٠٧هـ. علماء نجد، ٢/ ٤٩٥.

(٣٢) فقيه شافعي، وأصله من حضرموت، له عناية بكتب الحديث، توفي سنة ١٣٠٤هـ. الأعلام، لخير الدين الزركلي، ط ٦، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤م، ٤/ ٢٦٠.

(٣٣) علماء نجد للبسام، ٢/ ٤٩٦.

دعوة الشيخ ابن عيسى للتمساني:

من المشاهد الدعوية في سير علماء نجد ما قام به العلامة أحمد بن عيسى^(٣٤) من جهود دعوية مباركة، ومن ذلك ما أخبر به الشيخ محمد حسين نصيف^(٣٥) - رحمه الله - قائلاً: "كان الشيخ أحمد بن عيسى يشتري الأقمشة من جدة من الشيخ عبدالقادر بن مصطفى التلمساني أحد تجار جدة بمبلغ ألف جنيه ذهباً، فيدفع له منها أربعمئة ويقسط عليه الباقي، وآخر قسط يحل ويستلمه التلمساني إذا جاء إلى مكة للحج من كل عام، ثم يبتدئون من أول العام بعقد جديد، ودام التعامل بينهما زمناً طويلاً، وكان الشيخ أحمد بن عيسى يأتي بالأقساط في موعدها المحدد لا يتخلف عنه، ولا يماطل في أداء حقه، فقال له التلمساني: إني عاملت الناس أكثر من أربعين عاماً فما وجدت أحسن من التعامل معك يا وهابي فيظهر أن ما يشاع عنكم يا أهل نجد مبالغ فيه من خصومكم السياسيين، فسأله الشيخ أن يبين له هذه الشائعات، فقال: إنهم يقولون: إنكم لا تصلون على النبي ﷺ، ولا تحبونه، فأجابه الشيخ أحمد بقوله: سبحانك هذا بهتان عظيم! إن عقيدتنا ومذهبنا أن من لم يصل على النبي في التشهد الأخير فصلاته باطلة، ومن لا يحبه فهو كافر، وإنما الذي نكره نحن أهل نجد هو الغلو الذي نهى ﷺ عنه، كما نكر الاستعانة والاستغاثة بالأموات، ونصرف ذلك لله وحده.

يقول الشيخ محمد نصيف عن الشيخ عبدالقادر التلمساني: فاستمر النقاش بيني وبينه في توحيد العبادة ثلاثة أيام، حتى شرح الله صدري

(٣٤) ولد الشيخ أحمد بن عيسى في شقراء عام ١٢٥٣هـ. وطلب العلم على مشايخ الرياض، له مؤلفات وتلاميذ، واشتغل بالتجارة، وولي القضاء وجلس للفتيا، توفي في الجمعة سنة ١٢٢٩هـ. علماء نجد، ١/١٥٥. ومشاهير علماء نجد، ص ٢٢٦.

(٣٥) ولد الشيخ الوجيه محمد نصيف في جدة سنة ١٢٠٢هـ، صاحب اطلاع واسع، وخلق حسن، ونشر كتب السلف، وكتبها في الردود، وله مكتبة عظيمة، توفي في الطائف عام ١٣٩١هـ. الأعلام، للزركلي، ٦/١٠٧.

للعقيدة السلفية، وأما توحيد الأسماء والصفات الذي قرأته في الجامع الأزهر فهو عقيدة الأشاعرة وكتب الكلام، مثل: السنوسية وأم البراهين وشرح الجوهرية وغيرها، فلهذا دام النقاش فيه بيني وبين الشيخ ابن عيسى خمسة عشر يوماً، بعدها اعتنقت مذهب السلف، فعلمت أن مذهب السلف أسلم وأعلم وأحكم بفضل الله تعالى، ثم بحكمة وعلم الشيخ أحمد بن عيسى. ثم إن الشيخ التلمساني أخذ يطبع كتب السلف كنونية ابن القيم، والصارم المنكي لابن عبد الهادي ونحوهما، وصار التلمساني من دعاة عقيدة السلف. قال الشيخ محمد نصيف: فهداني الله إلى عقيدة السلف بواسطة الشيخ عبدالقادر التلمساني، فالحمد لله على توفيقه^(٣٦).

دعوة الشيخ ابن عيسى للشريف:

ولم يقصر الشيخ أحمد بن عيسى نشاطه على دعوة الأفراد، بل تجاوز ذلك فاتصل بأمرير مكة الشريف عون الرفيق، وكلمه بخصوص القباب والأبنية التي على القبور، وبيّن له أن هذا مخالف للإسلام، وأنه غلو في الأموات، ويؤول إلى الشرك وعبادة الأموات، فما كان من الشريف عون إلا أن أمر بهدم القباب التي على القبور، عدا قبة قبر خديجة - رضي الله عنها - والقبر المنسوب إلى حواء في جدة، فأبقاهما مراعاة للقاعدة الشرعية: درء المفسد مقدم على جلب المصالح^(٣٧).

وكان الشيخ أحمد بن عيسى ذات يوم جالساً عند الشريف عون الرفيق، فمر ذكر أصحاب الطرق الصوفية وما يفعلونه من الأذكار المبتدعة، فبيّن الشيخ قبح أفعالهم، وأن أفعالهم مبتدعة... كقولهم: الله الله... أو هو هو، فعجب الشريف من كلامه، ثم قال له: أفأضرب لك مثلاً، لو أن خدامك وحاشيتك وقفوا ببابك، وجعلوا ينادون بصوت عال: عون عون أيسرك؟ قال: لا، قال: فماذا تصنع بهم؟ قال: أمر

(٣٦) علماء نجد، ١/ ١٥٦ - ١٥٨. ومشاهير علماء نجد، ص ٢٦٠ - ٢٦٢.

(٣٧) علماء نجد، ١/ ١٥٨. ومشاهير علماء نجد، ص ٢٦٤.

بتأديبهم على فعلهم، قال: أفتأمر بتأديبهم على استهانتهم باسمك، ولا تؤدبهم على استهانتهم بذكر الله وأسمائه؟! فمن ذلك الوقت قام الشريف بإبطال اجتماعاتهم البدعية وفرق شملهم^(٣٨).

رسالة الشيخ عبدالرحمن السعدي للشيخ محمد رشيد رضا:

من الجهود الدعوية لعلماء نجد ما كتبه الشيخ العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي^(٣٩) للشيخ محمد رشيد رضا^(٤٠) رحمهما الله: "من عنيزة إلى القاهرة مصر في رجب ١٣٤٦هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

أبعث جزيل التحيات، ووافر السلام والتشكرات، لحضرة الشيخ الفاضل السيد محمد رشيد رضا المحترم، حرسه الله تعالى من جميع الشرور، ووفقه وسدده في كل أحواله، أمين.

أما بعد: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فالداعي لذلك ما اقتضاه الحب ودفعه الود المبني على ما لكم من المآثر الطيبة التي تستحقون بها الشكر من جميع المسلمين التي من أعظمها تصديكم في مناركم الأغر لنصر الإسلام والمسلمين، ودفع باطل الجاهلين والمعاندين، رفع الله قدركم وأعلى مقامكم، وزادكم من العلم والإيمان ما تستوجبون خير الدنيا والآخرة، وأنعم عليكم بنعمه الظاهرة والباطنة. ثم إننا نقترح على جنابكم أن تجعلوا في مناركم المنير بحثاً واسعاً لأمر نراه أهم البحوث التي عليها تعولون، وأنفعها لشدة

(٣٨) تذكرة أولي النهى والعرفان، ٢/ ٢٠٤.

(٣٩) ولد السعدي بعنيزة سنة ١٣٠٧هـ، وهو من كبار علماء نجد، له مؤلفات كثيرة وفي فنون عدة، وله تلاميذ، واشتغل بالتدريس والفتيا، توفي بعنيزة عام ١٣٧٦هـ. علماء نجد، ٢/ ٤٢٢. ومشاهير علماء نجد، ص ٣٩٢.

(٤٠) ولد محمد رشيد رضا في الشام سنة ١٢٨٢هـ، وتعلم بها، ثم سافر إلى مصر عام ١٣١٥هـ، واستقر بها، مارس الصحافة وعمل في السياسة، وزار بلداناً عدة، صاحب مسلك إصلاحية تجديدي، له مؤلفات عدة، توفي بالقاهرة عام ١٣٥٤هـ. الأعلام، ٦/ ١٢٦.

الحاجة، بل دعاء الضرورة إليه، ألا وهو ما وقع فيه كثير من فضلاء المصريين، وراج عليهم من أصول الملاحدة والزنادقة من أهل وحدة الوجود والفلاسفة، بسبب روجان كثير من الكتب المتضمنة لهذه الأمور ممن يحسنون بهم الظن، ككتب ابن سينا وابن رشد وابن عربي ورسائل إخوان الصفا، بل وبعض الكتب التي تنسب للغزالي وما أشبهها من الكتب المشتملة على الكفر برب العالمين، والكفر برسله وكتبه واليوم الآخر، وإنكار ما علم بالضرورة من دين الإسلام، فبعض هذه الأصول انتشرت في كثير من الصحف المصرية، بل رأيت تفسيراً طبع أخيراً منسوباً لطنطاوي جوهرى قد ذكر في مواقع كثيرة في تفسير سورة البقرة شيئاً من ذلك، ككلامه على استخلاف آدم وعلى قصة البقرة والطيور ونحوها بكلام ذكر فيه من أصول وحدة الوجود وأصول الفلسفة المبنية على أن الشرائع إنما هي تخييلات وضرب أمثال لا حقيقة لها، وأنه يمكن لأحد الخلق ما يحصل للأنبياء ما يجزم المؤمن البصير أنه مناقض لدين الإسلام وتكذيب لله ورسوله وذهاب إلى معان يعلم بالضرورة أن الله ما أَرادها وأن الله بريء منها ورسوله، ثم مع ذلك يحث الناس والمسلمين على تعلمها وفهمها، ويلومهم على إهمالها، وينسب ما حصل للمسلمين من الوهن والضعف بسبب إهمال علمها وعملها.

ويح من قال ذلك! لقد علم كل من عرف الحقائق أن هذه العلوم هي التي أوهنت قوى المسلمين، وسلطت عليهم الأعداء وأضعفتهم لزنادقة الفرنج وملاحدة الفلاسفة، وكذلك يبحث كثير منهم في الملائكة والجن والشياطين، ويتأولون ما في الكتاب والسنة من ذلك بتأويلات تشبه تأويلات القرامطة الذين يتأولون العقائد والشرائع، فيزعمون أن الملائكة هي القوى الخيرية التي في الإنسان، فعبر عنها الشرع بالملائكة، كما أن الشيطان هي القوى الشريرة التي في الإنسان، فعبر عنها الشرع بذلك، ولا يخفى أن هذا تكذيب لله ولرسوله

أجمعين، ويتأولون قصة آدم وإبراهيم بتأويل حاصله أن ما ذكر الله في كتابه عن آدم وإبراهيم ونحوهما لا حقيقة له، وإنما قصد به ضرب الأمثال.

وقد ذكر لي بعض أصحابي أن مناركم فيه شيء من ذلك، وإلى الآن ما تيسر لي مطالعته، ولكن الظن بكم أنكم ما تبحثون عن مثل هذه الأمور إلا على وجه الرد لها والإبطال كما هي عادتكم في رد ما هو دونها بكثير.

وهذه الأمور يكفي في ردها في حق المسلم المصدق للقرآن والرسول مجرد تصورها، فإنه إذا تصورها كما هي يجزم ببطلانها ومناقضتها للشرع، وأنه لا يجتمع التصديق بالقرآن وتصديقها أبداً، وإن كان غير مصدق للقرآن ولا للرسول صار الكلام معه كالكلام مع سائر الكفار في أصل الرسالة وحقية القرآن.

وقد ثبت عندنا أن زنادقة الفلاسفة والملحدين يتأولون جميع الدين الإسلامي التوحيد والرسالة والمعاد والأمر والنهي بتأويل يرجع إلى أن القرآن والسنة كلها تخييلات وتمويهات لا حقيقة لها بالكلية، ويلبسون على الناس بذلك، ويتسترون بالإسلام وهم أبعد الناس عنه، كما ثبت أيضاً عندنا أنه يوجد ممن كان يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر، ويعظم الرسول، وينقاد لشرعه، وينكر على هؤلاء الفلاسفة، ويكفرهم في أقوالهم أنه يدخل عليه شيء من هذه التأويلات من غير قصد ولا شعور، لعدم علمه بما تؤول إليه، ولرسوخ كثير من أصول الفلسفة في قلبه ولتقليد من يعظمه وخضوعاً أيضاً، ومراعاة لزنادقة علماء الفرنج الذين يتهمون بمن لم يوافقهم على كثير من أصولهم ويخافون من نسبتهم للبلادة وإنكار ما علم محسوساً بزعمهم؛ فبسبب هذه الأشياء وغيرها دخل عليهم ما دخل، فالأمل قد تعلق بأمثالكم لتحقيق هذه الأمور وإبطالها، فإنها فشئت، وانتشرت، وعمت المصيبة بها الفضلاء فضلاً عن دونهم، ولكن لن

تخلوا الأرض من قائم لله بحجة يهتدي به الضالون، وتقوم به الحجة على المعاندين.

وقد ذكرت لحضرتكم هذه الأشياء على وجه التنبية والإشارة؛ لأن مثلكم يتنبه بأدنى تنبيه، ولعلكم تجعلونه أهم المهمات عندكم؛ لأن فيه الخطر العظيم على المسلمين، وإذا لم ير الناس لكم فيه كلاماً كثيراً وتحقيقاً تاماً، فمن الذي يعلق به الأمل من علماء الأمصار؟ والرجاء بالله أن يوفقنا وإياكم لما يحبه ويرضاه ويجعلنا وإياكم من الهادين المهتدين إنه جواد كريم. وصلى الله على محمد وسلم. محبكم الداعي عبدالرحمن بن ناصر السعدي^(٤١).

وقفات دعوية مع رسالة السعدي:

تسترعي القارئ لهذه الرسالة جملة أمور، منها:

- سعة اطلاع الشيخ عبدالرحمن السعدي - رحمه الله - وبعد أفقه، حيث طالع مجلة المنار، وأثنى عليها خيراً، وأبدى شيئاً من مآثرها في نصرة الإسلام والمسلمين، مع أن المجلة تكاد تكون معدومة الانتشار في نجد آنذاك، بدليل أن الشيخ محمد رشيد رضا - في جوابه على رسالة السعدي - يقول: "كنت منذ سنين كثيرة أتمنى لو يطلع علماء نجد على المنار، ويفتح بيني وبينهم البحث والمناظرة العلمية الدينية فيما يرونه منتقداً؛ لينجلي وجه الصواب فيها، وقد كنت كتبت إلى إمامهم^(٤٢) بذلك، وإنني سأرسل إليه عشر نسخ من كل جزء ليوزعها على أشهرهم، وفعلت ذلك عدة سنين، ولكن لم يأتني منه جواب، ثم ترجح عندي أن تلك النسخ كانت تختزل من البريد البريطاني في سني الحرب وما بعدها"^(٤٣). بل إن الشيخ السعدي قد طالع تفسير "الجواهر في تفسير القرآن" لطنطاوي

(٤١) مجلة المنار، مجلد ٢٩، ج ٢، ص ١٤٣-١٤٥.

(٤٢) يقصد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود.

(٤٣) مجلة المنار، مجلد ٢٩، ج ٢، ص ١٤٧.

جوهري، مع أن البلاد السعودية قد منعت هذا الكتاب، ولم تسمح بدخوله إلى بلادها^(٤٤)؛ لما تضمنه من مزائق وانحرافات^(٤٥).

- وتكشف هذه الرسالة فقه الشيخ السعودي لواقعه، وإحاطته بتحديات عصره، حيث أكد الشيخ أهمية الرد على الإلحاد والملاحدة، وذلك في وقت قد ظهر فيه الإلحاد وراج على كثير من المسلمين، فلا غرابة أن يسطر العلامة السعودي أكثر من كتاب في الرد على الملحدين.

- ويتبين من هذه الرسالة ما عرف عن الشيخ السعودي من خلق حسن، وأدب رفيع، وحكمة في الدعوة، فقد كان رقيقاً متأنياً في النقد والتقويم فقال^(٤٦) رحمه الله: "وقد ذكر لي بعض أصحابي

(٤٤) التفسير والمفسرون، للذهبي، دار الكتب الحديثة، مصر، ط٢، ١٣٩٦هـ، ٥٠٨/٢. واتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري، لفهد الرومي، ط١، ١٤٠٧هـ، ٦٧٣/٢.

(٤٥) تجد تعريفاً شاملاً بتفسير الجواهر ومزلقه في كل من: التفسير والمفسرون، للذهبي، ٥٠٥-٥١٧. واتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري، لفهد الرومي، ٦٧٨-٦٣٨/٢.

(٤٦) لم يكن السعودي وحده - من علماء نجد - الذي انتقد المنار وصاحبها، بل إن الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع - في رسالة بعثها إلى الشيخ سليمان بن سحمان سنة ١٣٤٠هـ - قد انتقد المدرسة الإصلاحية وما تحويه من مزلق وانحرافات، كما عاب الشيخ سليمان بن سحمان - في الرسالة السالفة - على محمد رشيد رضا عدم نشره لمقال كتبه في الرد على جريدة القبلة والتي كانت لسان الحسين بن علي بمكة المكرمة آنذاك، غفر الله للجميع وتغمدهم بواسع رحمته. انظر: هذه الرسالة في دارة الملك عبدالعزيز، قسم الوثائق، رقم ٢٦٣. ومجلة المنار، مجلة ٢١، ج٩، ص٤٩٦.

كما استدرك الشيخ سليمان بن سحمان سنة ١٣٣٢هـ على جواب كتبه محمد رشيد رضا - في المنار - في الرد على بعض الملاحدة الطاعنين في شعيرة الحج وحكمها، فكان مما قاله ابن سحمان: "ولما تأملت جواب صاحب المنار رأيته قد أجاد وأفاد، ولكنه قد تساهل في الجواب مع هؤلاء الزنادقة، لظنه أنهم يطلبون الحق ويسترشدون، وهم بخلاف بذلك. فالأجل ذلك سألتني بعض الإخوان أن أكتب في ذلك ما يبين ضلالهم". من كتاب إقامة الحجة والدليل، ص٩.

وانتقد الشيخ عبدالله بن علي بن يابس كتاب "الوحي المحمدي" لمحمد رشيد رضا، فكتب مقالة في أربع صفحات، وقد نشرها محمد رشيد رضا في "المنار"، ثم أعقبها بالجواب والبيان. انظر: مجلة المنار، مجلد ٣٤، ج٢، ص١٤٠-١٤٦، ج٣، ص٢١٦-٢٢٦.

أن مناركم فيه شيء من ذلك، وإلى الآن ما تيسر لي مطالعته، ولكن الظن بكم أنكم ما تبحثون عن مثل هذه الأمور إلا على وجه الرد لها والإبطال كما هي عادتكم في رد ما هو دونها بكثير".

دعوة البكري لأحد علماء الهند:

من الجهود الدعوية لعلماء الدعوة، ما قام به الشيخ عبدالرحمن البكري رحمه الله^(٤٧)، كما حكى ذلك العلامة محمد بن إبراهيم رحمه الله في أحد تقريراته، فقال: "كان الشيخ عبدالرحمن البكري من طلاب العلم على العم الشيخ عبدالله^(٤٨) وغيره، ثم بدا له أن يفتح مدرسة في عمان يعلم فيها التوحيد من كسبه الخاص، فإذا فرغ ما في يده، أخذ بضاعة من أحد، وسافر إلى الهند، وربما أخذ نصف سنة في الهند^(٤٩). قال الشيخ البكري: كنت بجوار مسجد في الهند، وكان فيه مدرس إذا فرغ من تدريسه لعنوا الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وإذا خرج من المسجد مر بي، وقال: أنا أجيد العربية، لكن أحب أن أسمعها من أهلها، ويشرب من عندي ماء بارداً، فأهمني ما يفعل في درسه، قال: فاحتلت بأن دعوته وأخذت كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبدالوهاب، ونزعت ديباجته، ووضعت على رفاً في منزلي قبل مجيئه، فلما حضر قلت: أتأذن لي أن آتي ببطيخة، فذهبت، فلما رجعت إذا هو يقرأ ويهز رأسه، فقال: لمن هذا الكتاب؟ هذه التراجم - أي: العناوين - شبه تراجم البخاري، هذا والله نفس البخاري! فقلت: لا أدري، ثم قلت: ألا نذهب للشيخ الغزوي لنسأله - وكان صاحب مكتبة - فدخلنا عليه، فقلت للغزوي: كان عندي أوراق،

(٤٧) لم أعثر له على ترجمة.

(٤٨) ابن عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب.

(٤٩) تأمل إلى عظم بذل الشيخ البكري في سبيل الدعوة، وجسامة تضحيته في سبيل نصرة هذا الدين، فهو - رحمه الله - يعلم دين الله تعالى في هذه المدرسة التي أنشأها في عمان، فإذا نفذت ميزانية المدرسة سافر إلى الهند صابراً على مشقة السفر وهموم الغربة ومفارقة الأوطان، وكل ذلك من أجل تحصيل مال لدعم هذه المؤسسة الدعوية، فالله المستعان.

سألني الشيخ: من هي له؟ فلم أعرف، ففهم الغزوي المراد، فنادى من يأتي بكتاب "مجموعة التوحيد"، فأتي بها، فقابل بينهما، فقال: هذا لمحمد بن عبد الوهاب، فقال العالم الهندي مغضباً وبصوت عال: الكافر، فسكتنا وسكت قليلاً، ثم هدأ غضبه فاسترجع، ثم قال: إن كان هذا الكتاب له فقد ظلمناه

إنه صار كل يوم يدعو له ويدعو معه تلاميذه، وتفرق تلاميذه في الهند، وإذا فرغوا من القراءة دعوا جميعاً للشيخ ابن عبد الوهاب^(٥٠).

إصدار الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم مجلة راية الإسلام:

أدرك علماء نجد أهمية الصحافة ودورها الكبير في الدعوة إلى الله تعالى، فعمدوا إلى إيجاد منابر إعلامية تخدم قضايا الإسلام والمسلمين. ففي ذي الحجة سنة ١٣٧٩هـ أصدر الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ^(٥١) مجلة شهرية بعنوان راية الإسلام^(٥٢).

وفي عام ١٣٨٥هـ أسس الشيخ العلامة مفتي المملكة محمد بن إبراهيم آل الشيخ^(٥٣) مؤسسة الدعوة الإسلامية، والتي يصدر عنها مجلة الدعوة وما تزال.

(٥٠) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم، جمع محمد بن قاسم، ط١، مطبعة الحكومة، مكة، ١٣٩٩هـ، ١ / ٧٥ - ٧٦.

(٥١) ولد الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم بالرياض سنة ١٣١٥هـ، وتلمذ على كبار علماء الرياض، وبرع في الفرائض، وصار مديراً للمعاهد العلمية والكلديات (جامعة الإمام حالياً)، وكان يقرض الشعر، توفي في الرياض عام ١٣٨٦هـ. مشاهير علماء نجد، ص١٦٤. وعلماء نجد، ٢ / ٤٩٤.

(٥٢) صدر العدد الأول من هذه المجلة في شهر ذي الحجة سنة ١٣٧٩هـ، وتوقفت بعد العدد الخامس من السنة الثانية ١٣٨١هـ، ورأس تحريرها الشيخ صالح بن محمد اللحيان.

(٥٣) ولد سماحة العلامة محمد بن إبراهيم عام ١٣١١هـ في الرياض، ودرس العلم على كبار مشايخ الرياض، وجلس للتدريس في فنون كثيرة ما يزيد عن أربعين سنة، تولى رئاسة القضاء والإفتاء والتعليم الشرعي، توفي في الرياض سنة ١٣٨٩هـ. مشاهير علماء نجد، ص ١٦٩. وعلماء نجد، ١ / ٨٨.

وقد كتب سماحته خطاباً سنة ١٣٨٤هـ إلى ولي العهد - آنذاك - جاء فيه: "عظفاً على حديثي مع مقام سموكم حول عزمنا على إنشاء مؤسسة صحفية تقوم بالدعوة إلى الله وتوجيه الناس إلى الخير بأسلوب حكيم وطرق مناسبة، ويصدر عنها صحيفة تحمل اسم (منار الإسلام)، ويحتمل أن يصدر عنها مجلة أو مجلات أو نشرات حسب مقتضيات الحاجة وستكون مساهمة، ويوضع لها نظام داخلي يحدد سيره العلماء، وطريقة الإخراج، ويتولى إدارتها أناس أكفاء موثوقون"^(٥٤).

ويقول في موضع آخر: "نظراً لحالة المسلمين الحاضرة، وحاجة الأمة إلى الدعوة الإسلامية، فقد قمنا بتأسيس مؤسسة للدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، لتأخذ بأيدي الشباب المسلم عن الوقوع في شرك المبادئ الهدامة والأفكار الضالة المسمومة، ولتبين للناس محاسن الإسلام، وصلاحيته لمعالجة جميع المشاكل البشرية في كل زمان ومكان ولما كانت الصحافة لها أثرها الكبير في عصرنا الحاضر، فقد تقرر بأن يصدر عن هذه المؤسسة صحيفة يومية تصدر أسبوعياً مؤقتاً، ومجلة شهرية، علاوة على ما نؤمله في المستقبل القريب إن شاء الله من قيام هذه المؤسسة بإرسال الدعاة إلى الله في أنحاء العالم"^(٥٥).

جوانب الدعوة عند الشيخ القرعاوي؛

من الجهود الدعوية الناجحة ما قام به فضيلة الداعية الشيخ عبدالله بن محمد القرعاوي^(٥٦)، حيث اتجه إلى منطقة تهامة في جنوب غرب الجزيرة، وبذل جهوداً عظيمة في الدعوة إلى الله تعالى، وأقام الكثير من المدارس وحلقات التعليم في مدن وقرى تلك المنطقة.

(٥٤) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم، ١٣ / ١٦٣.

(٥٥) المرجع السابق، ١٣ / ١٦٣-١٦٤.

(٥٦) ولد الشيخ القرعاوي في عنيزة عام ١٣١٥هـ، وطلب العلم على علماء التصميم والرياض والهند، كانت له جهود مباركة في سبيل الدعوة والتعليم في جنوب الجزيرة العربية، توفي في الرياض سنة ١٣٨٩هـ. علماء نجد، ٢ / ٦٣٠. ومشاهير علماء نجد، ص ٤٢٠.

وكانت بداية دعوته في "صامطة" حيث اتخذ دكاناً للتجارة، فكان يعلم تلاميذه في الدكان، ويلقي الدروس والمواعظ في المساجد لتوعية عامة المسلمين، واستطاع الشيخ أن يقضي على كثير من المنكرات السائدة آنذاك، فعارضه خصوم ووشوا به، فانتقل إلى جزيرة "فرسان". ولما تعرف على طباع أهلها، فتح لهم مدرسة، وشرع في وعظهم وإرشادهم، ثم عاد الشيخ إلى "صامطة" بناء على مطالبة تلاميذه برجوعه، ومر على بلدة "مزهرة" فأصلح بناء مسجدها، وفتح فيها مدرسة، وجلس للوعظ والتذكير.

واستمر الشيخ في جولات وتنقلات بين المدن والقرى، يقيم عشرات المدارس لتربية الناشئة، ويلقي المواعظ لتزكية العامة، فتوافد عليه الطلاب من المناطق البعيدة، فاهتم الشيخ بهم وهياً لهم المسكن والغذاء واللباس.

واستوصى الشيخ بالنساء خيراً، ففتح مدارس نسائية، وكان يشجع النساء - طالبات ومعلمات - بمكافآت مادية، فتفقهن في الدين، وتمسكن بالحجاب والفضيلة، وقد بلغ عدد المدارس التي أنشأها - في أوج توسعها - ألفين وثلاثمئة وعشر مدارس^(٥٧).

جهود الشيخ عبدالرحمن الدوسري في الدعوة:

أما الشيخ عبدالرحمن بن محمد الدوسري^(٥٨) - رحمه الله - فقد حفلت حياته بمناشط دعوية عدة، فكان يجوب البلاد وينتقل بين

(٥٧) انظر تفصيل دعوة الشيخ عبد الله القرعاوي في كتاب: الشيخ عبدالله القرعاوي ودعوته في جنوب المملكة العربية السعودية، لموسى بن حاسر السهلي، ط ١، ١٤١٣هـ، ص ٢٢ - ٧٦.

(٥٨) ولد الشيخ عبدالرحمن الدوسري في البحرين ١٢٢٢هـ، وانتقل مع والده إلى الكويت، فتعلم في المدرسة المباركية، ودرس على بعض العلماء، له مؤلفات كثيرة، توفي في الرياض ١٣٩٩هـ. انظر حياة الداعية عبدالرحمن الدوسري، إعداد: سليمان الطيار، رسالة ماجستير في كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٣هـ، غير منشورة، ص ٧٣ - ٨٧. ومقدمة تفسيره صفوة الآثار والفاهيم، دار الأرقم، الكويت، ط ١، ١٤٠١هـ، ١/ ٩-٢١.

الأحياء واعظاً ناصحاً أمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر، وحاضر في كثير من المدارس والجامعات، وكان - رحمه الله - لا يتقاضى أجراً على أنشطته ودروسه، وكان حريصاً على نشر وتشجيع الكتب والصحف الإسلامية، فأحياناً يشتري عدداً كبيراً من الكتب الإسلامية ويوزعها على نفقته الخاصة، ويشارك سنوياً في عدد كبير من المجالات الإسلامية ويوزعها، ثم ينصح أهل الخير ليسهموا في هذه الأعمال النافعة، حتى إنه اشترك شهرياً في إحدى المجالات الإسلامية بما يصل إلى مئتي عدد^(٥٩).

وأوصى - رحمه الله - بأن يكون ثلث ماله للجمعيات والمراكز الإسلامية القائمة بأمر الدعوة إلى الله، ولطبع الكتب والمنشورات الإسلامية^(٦٠). وكان - رحمه الله - يحاضر الساعات الطوال، ويجب عن أسئلة الحاضرين بكل صراحة ووضوح، وإذا ضاق الوقت وعدهم بالرجوع إليهم حسب رغبتهم. يقول في محاضرة واجب الشباب المسلم تجاه التيارات المعاصرة: "إني مستعد للحضور للإجابة على أسئلتكم متى شئتم وبدون موعد مسبق فأنا أنقاد لفعل الخير بكل حب وسرور، والله يتولى الصالحين"^(٦١). ومن حرصه على الدعوة كان يبادر إلى تجمع الشباب في الأماكن العامة، فيرشدهم ويجيب عن استفساراتهم بكل صراحة ورحابة صدر، ومن ذلك أنه في شهر شوال عام ١٣٨٥هـ صلى المغرب في حديقة البلدية بالبطحاء في الرياض، وبعد السنة الراتبية قام الشيخ الدوسري فتكلم على قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣] - وقد كان مما قرأه الإمام في هذه الصلاة - إلى أن حانت صلاة العشاء، وبعد أداء الصلاة أكمل الحديث، ثم بدأت مناقشة بينه وبين الحاضرين إلى

(٥٩) حياة الداعية عبدالرحمن الدوسري، للطيار، ص ٣٠٦.

(٦٠) المرجع السابق، ص ٣١٩. وصفوة الآثار والمفاهيم، ١/ ١٠ - ١١.

(٦١) المرجع السابق، ص ١٥٧.

قبيل منتصف الليل، وكان حديثاً مستفيضاً مفيداً أكثر فيه من ضرب الأمثلة التي تنطبق عليها هذه الآية (٦٢).

وما يزال لعلمائنا المعاصرين أمثال العلامة عبدالله ابن حميد والعلامة عبدالعزيز بن باز والعلامة محمد بن عثيمين - رحمهم الله - ونحوهم من الجهود الدعوية الباهرة ما هو مسطور ومشهور.

الخاتمة:

ونخلص في خاتمة هذا البحث إلى ما عليه علماء الدعوة من اهتمام ظاهر بالجانب الدعوي، فمع انشغالهم بالتدريس والفتيا والقضاء والجهاد، إلا أنهم أعطوا الدعوة حقها من العناية والاهتمام، فكان الترفق والتلطف مع المخالف، كما في أسلوب الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - مع الذين يستغيثون بزيد بن الخطاب رضي الله عنه.

كما نلاحظ الأدب الرفيع والاحتراف الكبير مع أهل العلم الذين قد يخالفون علماء الدعوة في بعض المسائل، كما في رسالة الشيخ حمد بن عتيق للشيخ محمد صديق حسن.

كما أن في هذه الرسائل تأكيداً على العمل الجماعي الدعوي كما في رسالة الشيخ عبداللطيف بن عبدالله بن حسن للشيخ عبدالرحمن الألوسي، حيث أكد ضرورة أن يكون له جماعة وتلاميذ يقومون بواجب الدعوة بعده.

كما يظهر التواصل الدعوي من علماء هذه الدعوة تجاه علماء خارج الجزيرة العربية، سواء عبر المراسلات، أو عبر اللقاءات والحوارات. كما يتجلى أثر القدوة الحسنة في نشر هذه الدعوة كما في قصة الشيخ أحمد بن عيسى مع التلمساني، حيث إن ما عليه الشيخ أحمد بن عيسى من حسن الخلق وجميل التعامل مع التلمساني كان سبباً في فتح الحوار بينهما ثم القبول لهذه الدعوة.

وفي هذه الجوانب ما يجلي فقه علماء الدعوة لقضايا عصرهم، ووعيتهم لما يستجد من النوازل والأحداث، كما في رسالة العلامة السعدي للشيخ محمد رشيد رضا، حيث اقترح على صاحب المنار أن يعنى بالرد على أهل الإلحاد وأصحاب النزعة العقلية الجامحة.

وفي تلك الجوانب ما يبين أن إجلال العالم والانتفاع بعلمه لا يمنع من دعوته وتوجيهه كما في موقف الشيخ حمد بن عتيق مع الشيخ محمد صديق حسن، وما حصل من هداية للشيخ علي باصبرين على يد تلميذه الشيخ صالح البسام، كما أن في تلك الجوانب ما يبرز التضحية والبذل في سبيل نصرته دين الله تعالى وتبليغه عند علماء الدعوة، كما في جهود الشيخ عبدالله القرعاوي والشيخ عبدالرحمن الدوسري ونحوهم.